سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

# معالم دعوة

## الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب

# وشبهات المناوئين لها

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

**حفظه الله تعالى**

مع تعليق

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ حفظه الله تعالىٰ

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

**الشيخ لم يراجع التفريغ**

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله. نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدىٰ الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد.. فيا أيها الإخوة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وإني لأحمد الله جل وعلا حمدا كثيرا متواليا أن جعل هٰذه الأمة علىٰ الخير والهدىٰ إلىٰ قيام الساعة وأنَّ منها طائفة منصورة، ينصرُها الله جل وعلا، بالحجة والبيان، في كل حال وأوان، فلا يمكن لأحد أن يقاوم ويغلب حجة القرآن، وحجة سيّد ولد عدنان، عليه الصلاة والسلام.

فمن كان معه السيف، سيف الحجة والبرهان والآية والبيان فهو المنصور والمهتدي ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾[البقرة].

وأحمد الله جل وعلا أن ورِثْنا هٰذا الخير بطريقٍ حمله أئمة تلو أئمة، ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، ونافحوا عنها.

والحمد لله أن الأمر كما وصفه النبيُّ ﷺ بقوله: «تركتكم علىٰ البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك».

فحقيقة الأمر أن الملة بيِّنة واضحة، وأن الهدىٰ لا التباس فيه؛ ولٰكِن الله جل وعلا ابتلىٰ الناس بأنواع من الابتلاء:

ومنها أنه ابتلىٰ صاحب الحق، بصاحب الباطل.

وابتلىٰ أهل الهدىٰ بأهل النفاق، وهٰذا قديم قدم الحق والباطل.

ولهٰذا لا تستغربوا أن القرآن في سوره وآيه فيه ذكر هٰذا الصراع بين الحق والباطل وبين الأنبياء والرسل ومن ناوأهم وعاداهم، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان]، والحظ في هٰذه الآية أن الله جل وعلا بين أنه جعل لكل نبي -لا يستثنىٰ من ذلك أحد- عدو من المجرمين الذين خرجوا عما يقتضيه الحق وعادوا الأنبياء والرسل فكانت عداوتهم واضحة بينة، لٰكِن هٰذه سنة الله، ثم قال: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾، والله جل وعلا هو الكافي في الهداية، فمن كان معه هداية ربه بحجة القرآن وحجة الرسل عليهم الصلاة والسلام فهو مكتفي لا يحتاج إلىٰ زيادة..

ثم (كفىٰ بربك نصيرا) فلا يظنن أحد أنه مع قلة النصير أو مع قلة الموافق له فيما قام عليه البرهان والدليل ومشىٰ عليه الأئمة خالفا عن سالف أنه وحده في هٰذا السبيل، فطريق الهدىٰ ماضٍ، والله جل وعلا كفىٰ به نصيرا لأوليائه، ولهٰذا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾[النحل:١٢٠] وإذا كان إبراهيم أمة وليس بواحد عليه السلام بل هو أمة من الأمم، فكل من سلك طريقه فلا يستوحشن من قلة السالكين.

واختتمت الرسالات برسالة محمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- التي هي رسالة الإسلام الخاتم، ونبينا -

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- جاء أهل الجاهلية وهم على أنواع من الاعتقادات والعبادات وأحوال في الاجتماع والسلوك، فحملهم على أكمل هدىٰ، وجاءهم بأكرم طريق، حتىٰ اشتهر الإسلام وظهر ونصر الله عبده وفتح له الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾[الفتح] ثم جاء الناس أفواجا أفواجا ليدخلوا في دين الله ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾[النصر].

ثم مضىٰ علىٰ ذلك النهج الصحابة الكرام لم يظهر فيهم ضلال ولا نحلة باطلة؛ لأنهم استمسكوا بالأمر الأول.

ثم بزغ نجم الفتن -والعياذ بالله- وظهرت الفتن بين الناس، وكان من أول الفتن ظهورا في الناس الطعن في عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أمرين:

**الأول منهما**: تعيينه لأقاربه في الأمصار.

**والثاني**: تصرفه في المال العام كيف شاء.

فظهرت الخوارج وقُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسبب ذلك، ثم قتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسبب ذلك، ثم ظهرت فرق كثيرة من السبئية الغلاة، ثم الروافض، ثم ظهر القدرية، والمرجئة، وافترقت الخوارج علىٰ فرق أيضا.

ثم أتىٰ الأمر وزاد حتىٰ ظهرت فِرَقٌ مختلفة نحت نحو عقائد موجودة في فارس والهند وفي غيرها كاليونان وغيره.

فآل الأمر في أمة الإسلام إلىٰ أنها فارقت في كثير من أنحائها إلا من هدىٰ الله جل وعلا ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، وما كان عليه الهدىٰ في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، في انحرافات شتىٰ.

وكان في الانحرافات التي ظهرت في القرن الثالث الهجري التوجه إلىٰ قبور الأولياء، واعتقاد أن لهم تصرُّفا في الكون، وأن من أتاهم يطلب منهم شيئا فإنه قد أتىٰ الله جل وعلا بطلب حاجته؛ لأنهم وسائط يوصلون الأمور إلىٰ الله جل وعلا، وكان ممن قرَّر هٰذا في كتبه أصحاب «رسائل إخوان الصفا» فبيّنوا أن إتيان قبور الأولياء إنما هو إتيان للأرواح التي لها منزلة عند الله.

ثم آل بهم الأمر في تعظيم هؤلاء الأولياء إلىٰ أن يعظِّموا قبورهم وأن يبنوا عليها ويتخذوا عليها مساجد، وأن يحجوا إليها وأن يوجهوا الناس لذلك.

فقام أئمة الإسلام منذ القرن الثالث في أواخره والرابع بإنكار ذلك أشد النكير، وتكلموا في ذلك ببيان حق الله جل وعلا وسطروه في أن هؤلاء الأولياء لهم مكانتهم عند الله جل وعلا ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[يونس].

وإذا كان الأمر كذلك فإنهم في ولايتهم وكرامتهم عند الله جل وعلا ليس لهم التصرف في الكون في ذلك.

فبيَّن أهل العلم في القرن الرابع الهجري والخامس أن من أتىٰ إلىٰ قبر ولي أو من أتىٰ إلىٰ مكان معظم ليعظمه أو ليتوسل به فإنه قد ولج بابا من أبواب الشرك بالله جل وعلا.

ثم ازداد الأمر مع ازدياد الجهل، والعلماء يبينون ويسطرون ذلك في مؤلفاتهم مؤلفات الاعتقاد ،حتىٰ جاء انحراف كبير في تاريخ الإسلام؛ وهو مأخوذ من نظر المنطق اليوناني وعلوم الكلام، وهو أن الابتلاء وتحقيق العبودية لله جل وعلا إنَّما يكون بالإيمان بأن الله جل وعلا هو الرَّب الخالق الرازق المغيث، الذي يُستجار به، وأنه من آمن بأنه لا خالق ولا رازق ولا معطي ولا مانع إلا الله جل وعلا فإنه قد حقق (لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله) كما قال أحدهم في عقائده حيث قال: معنىٰ (لا إلٰه إلا الله) لا مستغنيا عما سواه ولا مفتقرا إليه كل ما عداه إلا الله) قال: فمعنىٰ الإله هو المستغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه.

وهٰذا بداية افتراق كبير في فهم معنىٰ (لا إله إلا الله) فظن فئام من الناس لما جاءت طوائف تعرّفوا الرب بهٰذا المعنىٰ والإله بمعنىٰ الرب ظنوا أنه حينئذ لا أثر للتوجه إلىٰ غير الله جل وعلا بعبادة أو دعاء لأنه ما دام أن (لا إلٰه إلا الله) معناها لا خالق ولا رازق ولا مستغنيا عما سواه ولا قادر إلا الله، فالجميع يؤمن بذلك، فلا يؤثر أن يتوجه إلىٰ ولي أو إلىٰ قبر أو إلىٰ شجرة أو إلىٰ حجر، فإن المقصود بالإيمان هو الإيمان بربوبية الله جل وعلا، وأن معنىٰ الإلهية هي الربوبية.

والله جل وعلا قد فرق في القرآن العظيم بين الرب وبين الإله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾[الناس]، فالربوبية غير الإلوهية، والرب غير الإله.

ولذلك فإن الأمر لمَّا التبس علىٰ هٰذا النحو ظل العلماء يبيّنون هٰذا الأمر، ولم يكن في كثرته في القرن الخامس والسادس الهجري كثرة في كل مِصر، وإنما زاد شيئا فشيئا مع ازداد الجهل ومع ازدياد الشبه.

حتىٰ أتىٰ إلىٰ القرون التي ضعف فيها العلم القرن العاشر الهجري والحادي عشر الهجري، فكثر ذلك الأمر في الناس لضعف من يُنبههم لأهل العلم ويبين لهم ذلك.

وكان الأمر في القرون التي قبل ذلك أنه ينكر والعلماء يبينون ذلك، ويقل هٰذا الأمر كلما أنكر وبُيِّن الأمر فضعف وخبا ولله الحمد.

ثم لما ازداد الجهل وضعف المنبِّه كثرت هٰذه الأمور في أمصار المسلمين، فكثرت الشبه العلمية والاعتقادية، وكذلك كثر التوجه إلىٰ غير الله جل وعلا في العبادة.

حتىٰ القرن الثاني عشر فقيَّض الله جل وعلا عالما أخذ العلم عن عدد من علماء المسلمين في بلده وفي غيره، أوابا تقيًّا نشأ نشأة صالحة هو الإمام الأواب محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي المُشرَّفي الوُهيبي التميمي المولود سنة ١١١٥ والمتوفىٰ سنة ١٢٠٦.

فلما بلغ من العمر نحوا من ثلاثين سنة بدأ بإظهار ما تعلمه من إنكار هٰذه الأمور التي فشت في الناس، وقام بدعوته شيئا فشيئا في بلده، وعرضها علىٰ أمراء وقته فاستجاب له بعض ونكص بعض، حتىٰ آل الأمر إلىٰ أنه استجاب لدعوته في توحيد الله جل وعلا الأمير الصَّابر محمد بن سعود بن مِقْرن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ. فكان العهد المعروف سنة ١١٥٧.

ثم بدأت الدعوة بالانتشار لما التقىٰ السيف والقلم في بيانٍ للناس وظهور.

هٰذه الدعوة الإصلاحية لا يصح أن تسمىٰ (وهابية.

وكلمة (وهابية) هٰذه إنما هي من أعداء هٰذه الدعوة في أواخر القرن الثاني عشر الهجري لأجل تنفير الناس منها، ولكي يقولوا لهم إنها جاءت بمذهب جديد وبعقيدة جديدة وبشيء لم يكن معروفا، فسموها بالوهابية حتىٰ يظن الظان أنها ملة وفرقة جديدة ظهرت في المسلمين.

وحقيقة هٰذه الدعوة الإصلاحية التجديدة التي أتىٰ بها الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ أنها هي دعوة أئمة الإسلام الإمام أبي حنيفة ومالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعي وأحمد ابن حنبل ومحمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن حجاج النيسابوري وابن خزيمة، وأحمد ابن تيمية وابن القيم، وغير هؤلاء في علماء الإسلام؛ بل كل علماء الإسلام في الحديث والفقه يقرون بها وبأصولها؛ بل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أخذ عنهم كما هو موجود في مؤلفات الإمام.

المقصود من هٰذا أنها دعوة تجديدية أخذ الإمام ما تفرق من كلام أهل العلم علىٰ مدىٰ قرون من الزمان فسطّره في كتبه ودعا الناس إليه.

**وكانت معالم دعوته رحمه الله تعالىٰ قائمة علىٰ أمور:**

**الأول** أنها دعوة يراد منها تجديد أمر الدين في حياة الناس، وتبيين ما خفي عليهم، كانت معتمدة أولا علىٰ كلام أئمة الإسلام ممن هم قبل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومعتمدة علىٰ العلم، فهي ليست بدعا ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[الأحقاف:٩]، وليست وليدة جديدة؛ بل علىٰ أثر دعوة أئمة ودعوة تجديدية سابقة، ثم هي معتمدة علىٰ العلم النافع علىٰ قال الله وقال رسوله ﷺ.

فأول ما تتميز به الدعوة أنها دعوة معتمدة علىٰ علم السلف، علم من سبق، وليست في قول جديد، ثم هي معتمدة علىٰ العلو والبرهان والدليل.

ولذلك كان من الطعون في الدعوة -كما سيأتي- أنها حاربت التقليد وأحيت الاجتهاد، وكان الناس في ذلك الزمن يقولون: إن باب الاجتهاد قد غلق، ولابد من أن يكون الناس علىٰ نصوص العلماء دون أن يرجعوا إلىٰ نصوص الكتاب والسنة؛ لعدم المجتهد الذي يفهم معاني القرآن والسنة.

**الثاني من معالم هٰذه الدعوة وأساسياتها** أنها قامت علىٰ تحقيق التوحيد لله جل وعلا، فبينت أن أعظم حق لله جل وعلا أن يوحّد في العبادة، كما أنه الواحد سبحانه في الربوبية.

فهو سبحانه الرب وحده وهو الخالق والرازق، وكذاك بجب أن يتوجه إليه في العبادة وحده دونما سواه، فالتوجه إلىٰ مخلوقٍ بالعبادة؛ بالدعاء والاستغاثة أو بذبح أو نذر أو بتعظيمه أو بخلع بعض صفات الله عليه ونحو ذلك، هٰذا شرك بالله جل وعلا، وهو قدح في الحقيقة في (لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله).

فكان من أعظم معالم هٰذه الدعوة تفريق بين نوعي التوحيد توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية.

وطُعن في الدعوة بأنها فرقت بين نوعي التوحيد، وهٰذا لا يعرف عن أحد من أهل العلم، كما قال المناوئون بأن التفريق في التوحيد بين الربوبية والإلهية والأسماء والصفات إنما هو شيء اخترعه محمد بن عبد الوهاب ولم يُعرف عن أحد من أهل العلم. وسيأتي جواب عن هٰذه الشبهة إن شاء الله تعالىٰ.

وحقيقة التفريق بين توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية هو ما ذكره الإمام حينما سئل: ما الفرق بين توحيد الربوبية؟

فقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: فالرب والإله مختلفان في القرآن، والربوبية والإلهية إذا اجتمعا تفرقا وإذا افترقا اجتمعا، فهما كلفظ الإسلام والإيمان والفقير والمسكين.

وهٰذا الذي قاله هو الحق الذي تدل عليه النصوص؛ لأن من آمن بأن الله هو الواحد المستحقُّ للعبادة فإنه يتضمَّن ذلك أنه مؤمن بأن الله جل وعلا هو الرَّب وحده وهو المالك للأمر وهو المتصرف وهو الخالق وهو الرازق؛ لأنه لما توجّه في عبادته ورجائه وإقباله وإخباته ودعائه واستغاثته وإنابته وإعانته إلىٰ الله الواحد الأحد في استحقاق العبادة فهو متضمن لأنه موقن بأن هٰذا الإله هو الخالق الرازق وحده، وهو المحيي المميت وحده، وهو الذي يجير ولا يجار وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فكل من آمن بتوحيد الإلهية فإنه متضمن ذلك أنه مؤمن بتوحيد الربوبية.

وأما العكس فإن من آمن بأن الله جل وعلا هو الخالق الرازق وحده، فإنه لا يتضمن ذلك أنه يتوجه إلىٰ الله جل وعلا في العبادة وحده، فهناك المشركون في كل زمان ومكان أنهم يؤمنون بأن لا خالق إلا الله ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾[الزخرف]، ﴿قُل لِّمَن مَّا بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[المؤمنون:٨٨] يقرون بأنه الله، من الذي خلقهم ورزقهم؟ يقرون بأنه الله، من الذي يجير ولا يجار عليه؟ يقرون بأنه الله جل وعلا، لكنهم يعبدون غيره.

ولذلك تجد في القرآن الاحتجاج علىٰ المشركين -مشكري قريش- في عبادتهم لغير الله بإيمانهم بالربوبية، فإذا كانوا قد آمنوا بأن الله هو الرب وحده فمعنىٰ ذلك أنه يستلزم ذلك ويستوجب أنكم لا تعبدون إلا الله.

فإذن فرَّق هنا بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية لأنَّ النصوص دلت علىٰ التفريق بين الرب وبين الإله، وأن المشركين -مشركي قريش- الذين واجههم النبي ﷺ بالدعوة كانوا يؤمنون بالربوبية ولا يؤمنون بتوحُّد الله جل وعلا في الإلهية.

لذلك قال الله جل وعلا عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾[ص]، فلم يكونوا يوقنون بأن الألوهية لا تتوجه إلا لواحد، وهو الله جل وعلا، وإنما الربوبية هي لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فكان من معالم دعوته أنه رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ أصّل وقرر بالحجة والبيان أن هناك الفرق الواضح وبين الرب والإله، وبين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، وأن أولئك الذين عرّفوا الإله بأنه الخالق الرازق أو الذي له القدرة علىٰ الاختراع أن هٰذا باطل وانحراف عن ما دل عليه القرآن والسنة في تعريف الإله وتعريف الرب.

**المعلم الثالث من معالم هٰذه الدعوة** أن الواجب عند التنازع الرد إلىٰ كتاب الله جل وعلا وإلىٰ سنة رسوله ﷺ، وأنه عند الاختلاف لا يجوز أن نرجع إلىٰ أقوال المختلفين؛ بل ننظر في نصوص الكتاب والسنة لأنها هي الهدىٰ قال الله جل وعلا: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[النساء]، ومعلوم أنه وقع النزاع في معاني التوحيد سواء في

الربوبية أو الألوهية أو في الأسماء والصفات، وكذلك وقع النزاع في بعض مسائل الاعتقاد، ووقع النزاع في مسائل الفقه والسلوك والعمل.

حين التنازع إلىٰ أي شيء نرجع إلىٰ نصوص الكتاب والسنة.

فحارب رَحِمَهُ ٱللَّهُ البدع وأوجب علىٰ أهلها إلىٰ هدي النبي ﷺ، فإن فيه القضاء علىٰ كل البدع الاعتقادية والعملية، والبدع شاعت وانتشرت في الاعتقاد والعلم والعمل والعبادة وكان دواء ذلك أن يرجع إلىٰ الكتاب والسنة وإلىٰ هدي السلف الصالح في ذلك.

وهٰذا من الأصول العظيمة أنه فيما اختلف الناس فيه فإنه يجب أن نرجع إلىٰ الركن الركين وهو الكتاب والسنة منهج السلف الصالح.

وتعلمون أن الكثير من الناس يقول: نرجع إلىٰ الكتاب والسنة، ثم يؤول الآي والأحاديث إلىٰ فهم بعض العلماء؛ لٰكن الواجب أن نفهم القرآن والسنة علىٰ أي فهم؟ هل هو علىٰ فهم المتأخرين أو علىٰ فهم السلف الصالحين؟!!

فكانت السمة البارزة في الدعوة أن فهم الكتاب والسنة والرجوع إلهما في الحجة متعين علىٰ فهم الصحابة والسلف الصالح والتابعين لهم بإحسان؛ لأن الفُهوم كثرت وتنوعت، فنفهم علىٰ أي شيء؟

إذا أتىٰ آت وقال: الآية هٰذه تدل علىٰ كذا وكذا، فنقول: هل هٰذا كان موجودا في زمن السلف؟

يقولون مثلا في قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[يونس] البشرىٰ في الحياة الدنيا منها أن يسأل وأن يطلب منه وأن يتوسل به.

فنقول: هٰذا فهم في الآية، هل فهمه السلف؟ هل فهمه الصحابة؟

لا نجد عندهم هٰذا الفهم، ألم يكن أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أولياء الله جل وعلا، فلماذا لم يعتقد الصحابة فيه هٰذا الاعتقاد فتوسلوا به؟

ألم يكون عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أولياء الله؟ بلىٰ، ولم يكن الصحابة يعتقدون فيه هٰذه المعتقدات فيأتون إلىٰ قبورهم، ويسألونهم ويرجون ما عندهم.

وكذلك عثمان، وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ والصحابة العشرة المبشرون بالجنة ومن بعدهم.

فإذن الميزان هو الكتاب والسنة علىٰ فهم السلف الصالح، وأما إذا كان فهم فلان وفلان ممن أتىٰ بعد كذلك فإن هٰذا ليس بحجة علىٰ فهم السلف.

ولذلك قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الموافقات» و«الاعتصام» لما عرض لمسألة التبرك وأن الصالحين يتبرك بهم فقال: **إلا أنه عرض لهٰذا أمر قطعي الثبوت وقطعي الدلالة؛ ألا هو أن الصحابة لم يكونوا يفعلون بأبي بكر شيئًا من هٰذا النوع من التبرك، ولم يكونوا يفعلون بعمر في حياته ولا بعد مماته شيئا من هٰذا التبرك، ولم يكونوا يفعلون بعثمان ولا علي ولا العشرة شيئا من هٰذا التبرك، فدل هٰذا علىٰ أن هٰذا الفهم للتوسل والتبرك مقطوعٌ ببطلانه لعدم فهم السلف له.**

وهٰذا أصل اصيل في دعوة الإمام المصلح في أن الفهم في المسائل المشتبهة يجب أن يرجع الناس فيه

إلىٰ فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم، فإذا كانوا أجمعوا علىٰ شيء ولم يعرف في زمنهم فإنه في الحقيقة باطلٌ أن يُذهب إلىٰ غير فهمهم.

وكذلك في المسائل العلمية فإنه يجب أن نرجع إلىٰ إجماع الناس.

**من معالم هٰذه الدعوة دعوة الإمام المصلح** أنها اعتمدت علىٰ ما أجمع عليه العلماء ولم تذهب إلىٰ ما اختلفوا فيه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في رسالة أرسلها؛ بل في عدة رسائل قال: وإنما دعوة الناس إلىٰ ما أجمع عليه العلماء، ولم أكفِّر أحدا من الناس إلا بما أجمع العلماء علىٰ التكفير به، وأما ما اختلفوا فيه فلم أتكلَّم فيه.

وسئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول أمره: هل أنت تقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا علىٰ شيء، وأن التوسل بالجاه ونحو ذلك أنه كفر، وأن المسلمين الذين لم يتبعوك أنهم كفار ونحو ذلك؟

فأجاب في رسالة علىٰ عدد من الشبه قال: أقول: سبحانك هٰذا بهتان عظيم، فأنا لم أتكلم في هٰذه المسائل التي ذكرتم أصلا، وإذا كنا لا نكفر من عند قبة الكواز أو عند قبة البدوي لأجل عدم وجود من ينبههم، فكيف أتكلم في مثل هٰذه المسائل ؟!!

وهٰذه من أساسيات الدعوة أنها قامت علىٰ الدعوة إلىٰ ما أجمع عليه العلماء وبينوه من حق الله جل وعلا في توحيده والإنابة إليه وعبادته وحده لا شريك له.

**ومن معالم هٰذه الدعوة** أنها قامت علىٰ تحقيق المتابعة للنبي ﷺ، وأن حقيقة الشهادة بأن محمدا رسول الله هي أن يطاع -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فيما أمر وأن يجتنب ما عنه نهىٰ وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرعه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

معلوم أن العبادة قد تخطر علىٰ بال إنسان يتعبد لله جل وعلا بنوع من العبادة كأن يسجد بنوع من السجود، أو يركع علىٰ نحو ما، أو أن يذكر الله جل وعلا علىٰ نحو ما، ونحو ذلك بأنواع من العبادة.

فحقيقة طاعة النبي ﷺ هي في اتباعه، قال جل وعلا: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾[آل عمران:٣١] وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾﴾[النساء].

فإذن الدعوة قامت علىٰ أنَّ الاتباع للنبي ﷺ هو حقيقة طاعته، فإذا كان الشيء في سنّته -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فإنَّ العمل به متعين، فإن العمل به دين ومشروع سواء أكان مأمورًا به أمر إيجاب أو أمر استحباب أو كان عمله النبي ﷺ عملًا.

ولهٰذا كانت الكثير من الأمور السلوكية التي كانت في وقت الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ أُبطلت لأنها لم تكن من سنة النبي ﷺ ولا من هديه.

**من معالم دعوته** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالىٰ** أنها دعوة جاءت بجمع المسلمين وليست لتفريقهم؛ بل كان حريصا علىٰ جميع الكلمة، ووحدة الصَّف، فكان الناس في نجد بخصوصها، كل بلد وكل قرية لها أمير، ولها والي، ولها من يأمر وينهىٰ فيها، وكان موجود المفتي الواحد يفتي علىٰ مذاهب شتىٰ، فيأتيه السائل ويسأله فيقول: تريد الفتوىٰ علىٰ أي مذهب، فإذا قال: أريد فتوىٰ علىٰ المذهب الحنفي، أفتاه، هو العالم نفسه، أريد فتوىٰ علىٰ المذهب المالكي، أفتاه، أريد الطريقة النقشبندية قال: هٰذه الطريقة النقشبندية، أريد

الطريقة القادرية، قال: هٰذه الطريقة القادرية.. وهكذا.

فكان الناس مختلفين في الولاية ومختلفين في الدين بعبادة آلهة مختلفة وأشجار وأحجار وإلىٰ آخره.

وكانوا مختلفين حتىٰ في المذاهب التي يتبعونها، وفي السلوك والعمل.

فأتاهم بأمر عظيم وهو جمع الكلمة، وعدم التفرق في دين الله جل وعلا، قال الله جل وعلا: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾[الشورىٰ:١٣].

وهٰذا هو الأصل العظيم من أصول الإسلام أن يكون هناك اجتماع، علىٰ الدين الحق، فدعا رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أعظم معالم دعوته الدعوة إلىٰ الجامعة والنهي عن الفرقة، الجماعة بمعنييها الجماعة في الدين والجماعة في الأبدان:

أن يكون الدين واحدا.

وأن تكون الولاية والاجتماع عليها واحدا.

وكذلك نهىٰ عن الفرقة:

الفرقة في الدين بأخذ المذاهب والأقوال كل كما يريد دون رجوع إلىٰ نور من الهدىٰ من كلام الله جل وعلا وكلام النبوة وسيرة السلف الصالحين.

أو التفرق في الأبدان؛ بأن يكون كل فئة لا إمام لها أو يذهبون إلىٰ أي نحو كان.

وهٰذا من أعظم ركائز الإسلام التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية في أن يكون هناك اجتماع وعدم افتراق.

فاجتمع الناس علىٰ ولاية واحدة، ولاية واحدة دعا الناس إلىٰ أن يجتمعوا عليها، وإلىٰ دين واحد، فاجتمع الناس بعد زمن في هٰذه المنطقة الكبيرة الشاسعة من الأرض بقراها وبلادها وأناسها علىٰ دين واحد.

والله جل وعلا يرضىٰ لنا أن نعبده ولا نشرك به شيئا «إن الله يرضىٰ لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا»، ويرضىٰ لنا أن نجتمع علىٰ ولاة أمرنا.

هٰذا من معالم هٰذه الدعوة أنها ألغت الإمارات المختلفة وألغت الاختلاف وجمعت الناس علىٰ كلمة واحدة، ولهٰذا كان في رسائل الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ أنه راسل أهل الأمصار المختلفين، دعاهم إلىٰ ما آمن به في هٰذا الأمر، وإلىٰ الاجتماع علىٰ كلمة واحدة وعدم التفرق في الدين والأبدان.

**من معالم هٰذه الدعوة المباركة** أنها دعوة قامت علىٰ محبة الناس؛ محبة المسلمين، البلاد هٰذه الجزيرة العربية، الدولة السعودية الأولىٰ، كان الناس مختلفين -كما هو معلوم- فيهم النعرات القبلية والنعرات الطائفية والنعرات الإقليمية، فأرسىٰ فيهم رحمه الله تعالىٰ المحبة فيما بينهم، امتثالًا لقول الله جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات:١٠]، ولقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[التوبة:٧١]، فأقام فيهم أنهم يحب بعضهم بعضا، وينصر بعضهم بعضا، وأزال تلك الجاهليات التي كانت في الرجوع في كل قوم إلىٰ شيخ قبيلتهم، أو إلىٰ العصبية لبلدهم، أو ما

هم عليه؛ بل دعاهم إلىٰ أن يتحدوا، فكانوا فعلا متحدين بعد أن كانوا مختلفين، علىٰ اختلاف البلاد والأمصار؛ بل تآخىٰ لأجل هٰذه العقيدة من في الهند، ومن في نجد، ومن في الحجاز، ومن في اليمن كلهم علىٰ محبة واحدة.

السبب في ذلك أن الدعوة قامت علىٰ المحبة في الله جل وعلا، وعلىٰ الحب في الله، والبغض في الله. فالمؤمنون يحب بعضهم بعضا، وينصر بعضهم بعضا.

فهٰذه الدعوة لم تقم علىٰ أساس تفريق الناس؛ بل كان الناس متفرقين فقام الإمام المصلح رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ إلىٰ إحياء النصوص الشرعية في نفوس الناس التي تجعلهم يجتمعون ولا يتفرقون.

ولهٰذا أئمة الدعوة وعلماء الدعوة من بعد الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ إلىٰ وقتنا الحاضر من علماء الموجودين حفظهم الله تعالىٰ الجميع يدعو إلىٰ هٰذا الاجتماع؛ اجتماع المسلمين، وإلىٰ محبتهم، وإلىٰ مناصرتهم، وإلىٰ أن تكون الكلمة واحدة، وأن لا تتفرق الناس؛ بل أن يجتمعوا في أمر الدين وفي أمر الدنيا حتىٰ يكونوا أقوياء في عقيدتهم وأقوياء علىٰ أعدائهم.

من يُعرف أنهم ناصر المسلمين، إلا من آثار هٰذه الدعوة السلفية الصالحة، مناصرة المسلمين واجتماعهم ومحبتهم وموالاتهم إنما كانت من آثار هٰذه الدعوة.

**هٰذه الدعوة من معالمها** أنها قامت علىٰ الفقه الصحيح في دين الله جل وعلا، الفقه في الكتاب والسنة، احترام المذاهب الإسلامية، وعدم الطعن في مذهب من المذاهب.

مذاهب الأئمة المتبوعين مذاهب حق وهدىٰ، في نفسها؛ لأن أئمة الإسلام ما منهم أحد إلا وقد أراد الحق والهدىٰ فيما نحاه من الفقه، والحكم في المسائل الشرعية؛ لٰكِن الصواب المطلق مع النبي ﷺ.

وأما العلماء فمنهم من يصيب ومنهم من يخطئ، والصواب الكامل مع النبي ﷺ، ولذلك ما من إمام من الأئمة إلا وقد قال قولته المشهورة: إذا صح الحديث فهو مذهبي.

( ولا تقلدني وتقلد سفيان ومالك وإنما خذ من حيث أخذوا) كما قال الإمام أحمد.

هٰذه الدعوة من معالمها لم تطعن في مذاهب المسلمين الفقهية، وإنما أخذت منها واحترمتها وأجلت العلماء والأئمة، وعظمتهم التعظيم اللائق بهم، وأخذت عنهم وترحمت عليهم وترضت عنهم، وقالت بما قالوا في ذلك؛ لٰكِن إذا اختلف العلماء في هٰذا الأمر، فإنه يؤخذ بما رجّحه الدليل من الكتاب والسنة، لأنّ الحق في كتاب الله جل وعلا وفي سنة رسوله، وإذا وقع الاختلاف والدليل أيضا يقبل هٰذا الاختلاف فيعذر بعضنا بعضا فيما قبل الدليل فيه الاختلاف، ولهٰذا تجد أن الدعوة السلفية كما سطر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه النفيس «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» لا يلام العلماء في اختلافهم؛ ولٰكِن نلام نحن إذا تعصبنا مع ظهور حق في قول من الأقوال ونقول: لا يهمني الدليل لٰكِن يهمني أنه قال به فلان.

كما قال بعضهم أنه إذا كان قول للإمام مخالف للحديث، فإن الحديث إما أن يكون مؤول أو منسوخ، هٰذا ليس بصحيح.

فالعلماء رحمهم الله تعالىٰ علىٰ الحق والهدىٰ، فهٰذه الدعوة من أساسياتها احترام العلماء، واحترام

أئمة الإسلام، الأئمة المتبوعين الأربعة وغيرهم كالليث وسفيان وابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ، وأئمة الحديث لا نطعن في أحد منهم؛ بل نحبهم ونتولاهم ونطعن فيمن طعن فيهم.

وكذلك شراح الأحاديث كالنووي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، والذهبي وابن حجر، ونحو ذلك من العلماء، لا نرض أن يأتي أحد ويطعن في العالم؛ بل العالم إن كان مصيبا فقد أجر أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد علىٰ اجتهاده.

**فالعالم لا يُتَّبَعُ في زلته كما أنه لا يُتْبَعُ بزلته**، فلا يقدح في أحد من أهل العلم فكان من أساسيات هٰذه الدعوة احترام المذاهب العلماء وعدم الطعن في أحد منهم.

ولذلك لا يُعرف عن أحد من علماء الدعوة السلفية في الماضي، وفي زمن ابن تيمية وابن القيم وفي زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلىٰ يومنا هذا ممن تتحقق بأنه يطعن بأحد من أهل العلم، ولا من علماء المذاهب؛ بل نحن معهم علىٰ الحق والهدىٰ، وما اختلفوا فيه فيرجح فيه الراجح، رحمة الله علىٰ الجميع وجمعنا بهم في دار كرامته.

هٰذه بعض المعالم الأساسية للدعوة اقتضاها الواقع الآن وما يثار، إلا فإن البحث العلمي أو النظر في الدعوة من جهة تفصيلية علمية فله أنحاء كثيرة وكل من سيتكلم بذلك فسيأتي بأشياء كثيرة، لٰكِن اقتضاها المقام الذي نحن فيه اليوم، وما يثار علىٰ هٰذه الدعوة.

هٰذه الدعوة خصومها ومناوئيها في أول وقتها طعنوا فيها بطعون كثيرة جدا؛ بل منهم من كفر الإمام المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تبعا من كفر الإمام أحمد ابن تيمية.

وهنا لا ينقضي العجب من أناس إذا أتوا وقالوا: هٰذه الدعوة تكفر الناس، ولا يتكلمون عمن كفر الصحابة أو بعضا منهم، ولا يتكلمون عمن كفر ابن تيمية، ولا يتكلمون عمن كفر شيخ الإسلام محمد عبد الوهاب، لا يتكلمون عمن كفر الإمام أحمد بن حنبل كبعض المعتزلة، والرافضة ونحوهم.

كيف يكون ذلك؟

هٰذه الدعوة أتهمت بأشياء ومن أعظم ما تهمت به في وقت الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، وإلىٰ هٰذا الوقت أنها تدعوا إلىٰ التكفير بغير ضابط، تكفير المسلمين، وأن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من لم يتبعني فهو كافر، وأن من لم يؤمن بهذه بما أتىٰ به، فهو كافر حلال الدم والمال إلىٰ آخره، وهٰذا من أعظم الباطل؛ بل قد قال بعضهم: إن هٰذه الدعوة متعطشة للتكفير، والعياذ بالله؛ يعني أنها لا ترتوي حتىٰ تكفر. وهٰذا ن أبطل الباطل.

وبيانه :

**أولا** أن المسلم الذي شهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله فإنه لا يجوز إخراج من هٰذا الدين حتىٰ يقوم به مخرج من الدين ظاهر بيّن بمثل ظهور وبينة ما أدخله في الإسلام.

النبي ﷺ قال لأسامة: «أقتلته بعد أن قال: لا إلٰه إلا الله» فمن قال: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله وشهد بها شهادة حق لا يخرج من الدين بتأويل أو بخطأ أو بإكراه أو بجهل أو بغلط، كيف يكون ذلك.

**الأمر الثاني**، أن المسلم قد يقع منه الردة، وذلك بنص القرآن حيث قال الله جل وعلا: ﴿وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾[التوبة:٧٤]، وقالوا: ﴿كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[آل عمران:٨٦]، وقال: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن

دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[المائدة:٥٤].

إذن الحكم بأنه يمكن أن يخرج مسلم من دين الإسلام إلىٰ غيره، أو يكفر بعد إيمانه، هٰذا بنص القرآن والسنة أنه يقع.

لٰكِن العلماء بحثوا ذلك، فما من كتاب ممن كتب الفقه إلا وتجد فيه -في كل مذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والظاهري وغير ذلك- باب حكم المرتد، لماذا؟

لأن النصوص دلت علىٰ أن المسلم قد يعرض له من الأقوال والأعمال والاعتقادات أو الشكوك والريب ما يسلب عنه اسم الإسلام.

هٰذه الدعوة السلفية، لكثرة ما جاء بكتب الفقهاء من الحكم بالردة ضيقت هٰذا الباب، وتكلم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تكلموا في أن باب التكفير ليس بابا يلجه كل أحد، بل لا يكفر أحد إلا بقيام الشروط وانتفاء الموانع.

ما هي هٰذه الشروط؟ لا يمكن أن يطبق هٰذا الأمر بأن هٰذا كافر أو هٰذا يكفر أو أن هٰذا كفر من الدين لأنه اعتقد كذا أو لأنه حكم بغير ما أنزل الله، أو أنه حصل منه، أو قول شركي أو عمل شركي هكذا بمجرد القول أو الفعل أو الاعتقاد أو الشك.

بل لابد من وجود الشرائط وانتفاء الموانع.

من الذي فصل من أهل العلم من وجود الشرائط وانتفاء الموانع؟

لا تجد التفصيلات إلىٰ عند الدعوة السلفية، فتجد كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وكلام ابن القيم كلام الإمام محمد عبد الوهاب، كلام أئمة الدعوة تجده مفصلا في هٰذه الأمور.

لٰكِن الكلام علىٰ التكفير موجود في كتب أهل العلم وفي كتب الفقهاء.

فإذن هٰذه الدعوة حدَّت من دخول الناس في هٰذا الأمر أو تطبيق الفقهاء له بالتفصيل في الشروط والموانع.

من الشرائط في ذلك أنه لا تكفي إلا بقيام الحجة، ما يكفر أحد إلا بعد البيان، شخص عمل عملا كفريا لابد من التنبيه والبيان.

لذلك الإمام قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في كلامه علىٰ من يعبد عند قبة البدوي أو عند قبة الكواز قال: وإن كنا لا نكفر من عند قبة الكواز أو عند قبة البدوي -ليش؟- لأجل عدم وجود من ينبههم. نص منه، فإذا كان ليس هناك بيان فكيف أن يكون هناك حكم بغير قيام الحجة.

ثم العلماء أيضا بينوا هٰذه الحجة التي تقام، ما المقصود منها؟ وما الذي يقيمها؟ هل أي أحد يقيم الحجة؟

لا، يقيمها عالم يعلم كيف يقيم الحجة، يعرف كيف يجلو الشبه، ويوضح الشبهة في التوحيد ويبين الشرك وينهىٰ عنه، أي واحد يقيم الحجة حتىٰ قيام الحجة بين العلماء من يقيمها تضييقا لدائرة التكفير.

من الشرائط أنه لابد من العلم، هل يمكن واحد يكفر وهو لا يعلم، يكفرون وهم لا يعلمون.

ليس هناك انتفاع بالشهادة إلا بالعلم ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾[الزخرف]، وكذلك سلب

الشهادة لا يكون إلا بالعلم، فلا يمكن لأحد فلان كفر وهو لا يعلم، خرج من الملة وهو لا يعلم، لابد من العلم عنده بأن هٰذا الأمر الذي فعله أو قاله أنه يخرجه من الملة، لابد من العلم.

لهٰذا بين علماء الدعوة السلفية وبينت الدعوة الإصلاحية أهمية العلم أنه لابد من وجود شرط العلم، وأما الجاهل -كما سيأتي في الموانع- لو كان عدم العلم كافي في الكفر لكفر الذي قال: اللّٰهمَّ أنت عبدي وأنا ربك. خطأ ما علم معنىٰ كلمة ما علم ماذا خرج منه، أو واحد فعل فعلا وهو لا يعلم مثل بعض الصحابة الذين كانوا حديثي عهد بكفر، وقالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال: «قلتم والذي نفسي بيده، كما قال أصحاب موسىٰ لموسىٰ اجعل لنا إلها كما لهم آلهة».

القول كقول أصحاب موسىٰ (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة).

قال علماء الدعوة: لكنهم لم يكفروا؛ لأنه نبههم علمهم فتعلموا وتنبهوا، انتفاء الموانع لا يمكن أحد يكفر إلا بانتفاء الموانع، ما هي الموانع؟ الخطأ، الجهل، يمكن هو قاله عن طريق الخطأ، عن طريق الجهل، عن طريق التأويل، عن طريق الإكراه، الموانع أربعة: الخطأ، الجهل، التأويل، الإكراه.

شخص متأول في شيء، لابد من البيان حتىٰ يُنزع عنه، جاهل، مكره أكره في شيء، قال قولا خطأ، أو عمل علىٰ خطأ، أو نحو ذلك.

فإذن الدعوة حدَّت من التكفير بوجود الشرائط والموانع، وضيّقت ما قاله الفقهاء رحمهم الله تعالىٰ ببيان هٰذا الأمر تفصيلا.

ثم أيضا من الذي يحكم أحكم أنا أو أنت الثاني والثالث من طلبة العلم أو عموم الشباب أو الذين فهموا الدين وغاروا عليه هم الذين يحكمون هٰذا كفر أو ارتد؟ لا، لأجل وجود لزوم وجود الشرائط وانتفاء الموانع فإن الذي يحكم من يقيم الشرائط وينفي الموانع وهو القاضي أو من يصلح للقضاء، لأن هٰذا حكم يترتب عليه الإيمان وهناك أحكام كثيرة تفصيلية تترتب علىٰ الردة.

من الذي يحكم بذلك؟ يحكم به القاضي ليس لآحاد الناس، ليس لي ولا لك.

من الذي علينا من الدور راينا مثل هٰذه الأغلاط، رأينا الشركيات رأينا بعض الموبقات رأينا بعض الأقوال الكفرية علينا النصيحة؛ لٰكن الحكم ليس لنا، الحكم للقاضي، هٰذا هو الذي أصلته هٰذه الدعوة تضييقا لباب التكفير.

**مما اتهمت به الدعوة** -والوقت يضيق عن مزيد بسط- مما اتهمت به الدعوة أنها فتحت باب الاجتهاد وادعت أن كل أحد يحق له الاجتهاد وأن التقليد محرم، حتىٰ قالوا في الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ إنه ادعىٰ لنفسه الاجتهاد.

والاجتهاد والتقليد مسألة معروفة عند أهل العلم، لا يجوز لأحد من الناس أن يغلق باب الاجتهاد.

في القرن التاسع والعاشر الهجري كثير من الفقهاء قالوا: الاجتهاد أغلق بابه وإنما علىٰ الناس أن يتبعوا كلام من سبقهم من العلماء وأن لا يجتهدوا في الكتاب والسنة.

الكتاب والسنة أنزلت ليتعبد الناس بهما، وليتبعوا كلام الله جل وعلا وكلام رسوله، فكانت من معالم الدعوة أنها أحيت الاجتهاد والفقه في الكتاب والسنة، وفعلا التقليد ضيقت نطاقه، وهٰذا من مميزات

الدعوة وليس مما يؤخذ عليها.

مما رميت به الدعوة، أن هٰذه الدعوة كانت متعطشة للدماء وللقتل ولقتال الناس، وهٰذا باطل في نفسه يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في رسالةٍ له : ونحن لم نبتدئ أحدا بالقتال، وإنما قاتلْنا مَن قاتلَنا، لأن الدفع عنا واجب،

قالوا عن الدعوة: وأنها قاتلت المسلمين بغير وجه حق، وهذه قديمة، وقد أجاب عنها الإمام في رسالة له وقال: نحن لم نقاتل إلا من قاتلنا، فالدفع عنا واجب.

فالذين أتوه أو أغروا به أو أرادوا الدولة الأولىٰ وهاجموها فقتالهم لابد منه، فكيف يُترك من قاتل أو لم يصر للدين الحق.

القتال والجهاد لابد فيه من فهم لمعنىٰ في القتال في الإسلام والجهاد، الجهاد في الشريعة جهاد للنفس، وجهاد للعدو، فمن صال علىٰ النفس أو أراد الدولة أو أراد المسلمين بسوء فلابد من مجاهدته، لابد من قتاله، سواء قاتل بالفعل أو كان مضمرا للقتال.

كما كان النبي ﷺ يفعل مع الناس فإنه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- دافع جاهد مدافعا، وتارة ابتدأ أناسا لأنهم كانوا يضمرون له ذلك ويريدونه.

وهكذا كان حال الدولة السعودية الأولىٰ، ودعوة الإمام المصلح رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، فإنهم من أرادهم فعلا أو أرادهم نية فإنهم قاتلوه وجاهدوه؛ لأجل حماية الدين وحماية الناس.

لهٰذا تجد أنها في كثير من الأنحاء في تاريخ الدعوة تاريخ الدولة السعودية الأولىٰ والثانية وما بعدها كثير من الأنحاء يكون إقرار الحق ببعث علماء من الدرعية، إلىٰ مكة مثلا أو إلىٰ غيرها ليشرحوا الدين ويبينوه، فصار هناك فتوح بدون قتال، هل سُفك في مكة دم؟ هل سفك في المدينة دم؟ لا، لماذا لأنهم اقتنعوا بكلام أهل العلم وصارت مناظرات علمية مدونة في الكتب كما هو معلوم، وختم عليها حتىٰ علماء المذاهب.

هناك وثيقة موجودة علماء الدعوة مع علماء مكة تناظروا في مكة والوالي عليهم الشريف في ذلك الوقت، فأقر الجميع علىٰ أن ما جاءت به الدعوة حق وختموه بأختامهم، والوثيقة موجودة هنا في الرياض بأختام علماء المذاهب جميعا في مكة وعلماء الدعوة.

ولذلك لم يحصل هناك أي نوع من القتال ولا من المباينات لأجل حصول مناقشة أهل العلم لأهل العلم.

أما إذا آل الأمر إلىٰ ولاة جهلة أو إلىٰ أمراء جهلة فقاتلوا الدعوة وقاتلوا المسلمين من أتابع هٰذه الدعوة وأرادوا أن يوقعوا شرا بالناس فهنا قتالهم واجب والذب عنهم واجب، أو لم يستجيبوا لأن يكون الدين لله وحده وأن تهدم مظاهر الشرك والوثنية وتقر وحدانية الله جل وعلا في عبوديته، فإن هٰذا أيضا يبينون وتقام عليهم الحجة حتىٰ إن لم يرضوا بذلك جوهدوا في ذلك، وهٰذا اتفق عليه أهل العلم كما هو معلوم في الفقه.

**مما رميت به الدعوة** أيضا أنَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ خرج علىٰ الدولة العثمانية، ولم يقر بولاية  الدولة العثمانية بل أتىٰ بأمير جديد أو بايع أميرا جديدا ونحو ذلك وخرجوا في إمارة عن طاعة

الدولة العثمانية.

وهٰذا الكلام قيل وإن كان ليس بمنتشر لأجل عدم قوته في الحق؛ لأن علماء وقت الشيخ محمد بن عبد الوهاب إنما جاء من بعض المعاصرين؛ لأنه معروف في ذلك الوقت لأنها ليست بحجة صحيحة.

الجواب عنها نختصر بهذه يكون آخر المطاف، والجواب عنها واضح وهو أن نجد بعمومها لم تكن خاضعة لسلطان دولة ولم يطلب أن تخضع لسلطان دولة منذ القرن الخامس الهجري؛ لأنها أولا قرىٰ صغيرة لا يلتفت لها وليس لديها خيرات، وإنما فيها بعض التمر والنخيل ولا يرغب فيها الولاة وصعبة في مسلكها وجوها ووعورتها، إنما كانوا يطلبون الولاية من الأحساء أو من جهة الحرمين الشريفين.

وأما نجد كان من نحو ٢٦٠هـ استقلت بها دولة عن الدولةالعباسية الأولىٰ دولة كانت مستقلة عن الدولة العباسية مشت في نجد نحو قرنين من الزمان من ٢٦٠ إلىٰ ٥٠٠ هجري.

ثم بعد ذلك انتدثرت وآل الأمر إلىٰ أنه لا ولاية فيها إنما كل بلد فيه إمارة لما أتىٰ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لم تكن الولايات تتبع دولة فبايع أمير الدرعية، ثم اجتمعت الإمارات الصغيرة في دولة واحدة وهي لم تكون تحت ولاية أصلا في ذلك الزمان.

ثم لما كان الأمر كذلك انتشرت الدولة لأجل صحة الإمامة، وإمامة مستقلة ليست تحت ولاية.

فإذن لم يكن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ خارجا عن الدولة العثمانية؛ لأن نجدا في ذلك الوقت أصلا لم تكن تحت الولاية العثمانية ولم يطلب منها ذلك، ولم تكن تحت الولاية العباسية قبل ذلك كما هو معروف، وإنما هي متروكة لأمرائها لم يطلب منهم شيئا من هٰذا.

هٰذه بعض الشبه التي ذكرت في هٰذا الأمر وهي شبه متعلقة بالدعوة كحركة ودعوة إصلاحية.

وأما الشبه المتعلقة بالعقيدة وتفصيلات الدعوة، هٰذه أكثر من أن تبسط في هٰذا الوقت، ولعل فيما ذكرنا من الإشارة ما ينبئ عما طوي ولم يتسع له المقام.

أسأل الله جل وعلا أن يرحم الإمام المسلح محمد بن عبد الوهاب وأسلافه من العلماء المصلحين المجددين وأن يرفع لهمن منارا عنده جل وعلا، وأن يجعلنا وإياكم ممن من عليهم باستماع القول واتباع أحسنه، اللهم اجمعنا بهم في جنات النعيم، اللّٰهمَّ اجز الإمام المصلح عن هٰذه البلاد خيرا، واجز من آواه ونصره وأقام دولته عنا خير الجزاء، ووفق الجميع لما فيه رضاه، ووفق العلماء وولاة الأمور إلىٰ النهوض بهذه الدعوة، إنك جواد كريم وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

[الأسئلة]

**سؤال (١)**: ما هي الوسيلة الفضلىٰ في قراءة كتب ورسائل أئمة الدعوة؟

**الجواب**: الحمد لله رب العالمين وبعد، لابد من التدرج كما كان العلماء يصنعون، لابد تأخذ الرسائل شيئا فشيئا ، ثم الأكبر ثم الأكبر بحسب الحا.

وهٰذا لابد فيه من عالم يفهم كلام الدعوة كلام علماء الدعوة السلفية ليشرح ويبين، صحيح أن العلم موجود، وربما أوتي الإنسان فهما؛ لٰكِن لابد من عالم، والأحسن في ذلك قول الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: كان العلم في صدور الرجال، فأصبح في بطون الكتب؛ ولٰكِن بقيت مفاتيحه بأيدي الرجال.

العلم موجود في الكتب من الذي يفهمك هٰذه الكتب لابد من عالم راسخ.

واليوم ترون كثير من الناس انتسب للدعوة واستدل بكلام من كلام علماء الدعوة، وهو مخطئ في ذلك، إما في التكفير، وإما في الخروج علىٰ الولاة، وإما في سب المذاهب، وإما يستدل بكلام لا يفهمه ولا يعلمه ولم يدرس هٰذه الكتب ورسائل الدعوة علىٰ علماء الدعوة المعروفين بذلك فتجد أنه يخطئ في الفهم ويضل ويضل.

والواجب أن تأخذ العلم عن أهله الذين يفهمونه، لأنه إذا كان القرآن فيه محكم ومتشابه ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾[آل عمران:٧]، ابتلىٰ الله جل وعلا الناس، القرآن فيه محكم ومتشابه.

الخوارج استندوا علىٰ القرآن، فضلّوا لأنهم لم يأخذوا القرآن علىٰ فهم الصحابة رضوان الله عليهم، ما سألوا الصحابة، فهموه علىٰ ما يريدون في آيات الكفر أو آيات الحاكمية أو نحو ذلك، فحكموا من عند أنفسهم دون الرجوع للصحابة هٰذا أخذ بالمتشابه وترك للمحكم وترك للرجوع للراسخين في العلم.

كذلك السنة فيها محكم ومتشابه.

كذلك كلام العلماء فيه محكم ومتشابه، كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيه محكم ومتشابه، كلام أئمة الدعوة فيه محكم ومتشابه، فليس الشأن في أن تأخذ أي كلام وتقول هٰذا هو الفهم، ليس الأمر كذلك؛ بل لابد من الرجوع إلىٰ أهل العلم حتىٰ يبينوا لك مواضع الإحكام في كلامهم ومواضخ الاشتباه ويردوا المتشابه إلىٰ المحكم ويفهموك.

فإذن الإقبال علىٰ كتب أئمة الدعوة كتب الدعوة السلفية هٰذا فيه نور وهدىٰ للمسلم؛ لٰكن لابد أن يكون علىٰ أيدي علماء يبينون لك المآخذ ويفهمونك الكلام الصواب في شرح كلام أهل العلم في ذلك.

**سؤال (٢)**: ما هو تعليقكم علىٰ من يقول أن الدعوة ليست عالمية وأنها محلية خاصة؟

**الجواب**: هٰذا الكلام قيل، والتاريخ يدل علىٰ عدم صحة هٰذه الكلمة، وذلك لأن الذين استجابوا للدعوة من وقت الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ وقتنا الحاضر في كل أمصار الإسلام.

الدعوة السلفية تجدها قوية اليوم في أندونيسيا، قوية في ماليزيا، قوية في الصين، قوية في روسيا، قوية الهند، قوية في الباكستان، قوية إيران، قوية في بلاد العرب ، قوية أوربا، قوية في أمريكا، في الجنوب، في أفريقيا.. ما من مكان إلا وتجد هٰذه الدعوة موجودة فيه.

وفي الحقيقة هي الدعوة الإصلاحية العامة ولذلك كثير من الباحثين من المستشرقين ومن غيرهم يقول: إن الحركات الإصلاحية التي ظهرت في الأمة الإسلامية كها متأثرة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

يذكرون مثلا الدعوة السنوسية مع أنها في بعض تفاصيلها فيها صوفية.

ويذكرون دعوة الدهلوي في الهند.

مع أن تأخذ تفاصيل هٰذه الدعوات فيها اشاء مخالفة للدعوة السلفية لٰكن في هٰذه الحقيقة متأثرة نعم بالدعوة الإصلاحية؛ لأن الدعوة الإصلاحية من أثر ما علمته للمسلمين من حيث النهوض بهم ومن حيث عالمية الدعوة أنها حررت العقل من الركون للتقليد، حررت العقل من أن يكون قابعا لا يفكر فيما فيه

مصلحته، ثم حررت العلماء من أن يقبلوا بواقعهم المخالف لدين الله جل وعلا دون أن يتحركوا.

فدعوة بدأت ونجحت وأنشأت دولة قوية تأثر الناس بذلك.

يقول الجبرتي في «تاريخه» ما مفهوم كلامه: إن من أهداف الحملة الفرنسية علىٰ مصر لما جاء نابليون وهاجم مصر ونزع دولة المماليك وأقام واليا جديدا محمد علي في ذلك الوقت، قال: من أولويات الدعوة في مصر هو القضاء علىٰ الدعوة الإصلاحية في نجد؛ لأن المستشرقين درسوا هٰذه الدعوة فعلموا أنها ستنتشر لأنها دعوة الصحيحة للدين، والمستشرقون درسوا حال الأمة الإسلامية، وهذه الدولة تنهّض الأمة وتقاوم الاستعمار.

وهٰذا هو الصحيح فإن هٰذه الدعوة لأجل وجودها في نجد وفي الحجاز ونحو ذلك لم يوجد استعمار، الاستعمار هاب أن يأتي للجزيرة لأجل وجود دعوة قوية فيها.

فالذين تأثروا بالدعوة من الدعوات الإصلاحية كلها هٰذا يدل علىٰ أن هٰذه الدعوة عالمية وليست محلية.

هناك بعض المفاهيم، هناك بعض الناس يريدون أن يحصروا هٰذه الدعوة في نجد، أو أن يحصروها في بعض المناطق في المملكة ، ونحو ذلك، وهٰذا غلط علىٰ الدعوة.

الدعوة يجب أن نجعلها عالمية لأنها في احقيقة الدعوة السلفية، هي الفهم الصحيح للكتاب والسنة فيما نعتقده لذلك يج أن نجعلها عالمية، وأن لا نضيق النطاق ولا علىٰ المستجيبين منها.

هل المؤمن يكون دائما كامل الإيمان؟ ليس كذلك، الإيمان الناس فيه مراتب.

كذلك المستجيبون للدعوة مراتب، فيجب أن لا نضيق هٰذه الدعوة، ونقول: فلان هٰذا ليس بسلفي، هٰذا لم يستجب للدعوة، وهؤلاء ليسوا بكذا، بل نوسع الدائرة، وهم درجات عند الله.

الجميع ما دام أن الأصل الاستمساك بالكتاب والسنة والقيام لله ونشر هٰذا الدين، فإذن هم إذن علىٰ اساسات هٰذه الدعوة ما داموا أنهم يحاربون او يدعون إلىٰ توحيد الله جل وعلا وإلىٰ طاعة رسوله ﷺ ويحاربون مظاهر الانحراف عن دين الله جل وعلا.

**سؤال (٣)**: ما هو موقع علماء الدعوة الإصلاحية الدعوي والعلمي من المذاهب الفقهية الأخرىٰ؟

**الجواب**: هٰذا ذكرته في المحاضرة، موقف علماء الدعوة السلفية أن أئمة المذاهب الأربعة هم أئمة الدعوة السلفية، إذا قيل لنا من أئمتكم نقول: أئمتنا أبو حنيفة الشافعي والبخاري ومسلم من أئمة المذاهب وأئمة الحديث، وقبلهم الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعيون لهم بإحسان، وبعدهم علماء الإسلام المعروفون الذين اهتموا بالسنة قولا وعملا أئمة الإسلام هم أئمتنا الذين نعظمهم من جميع المذاهب الإسلامية، لا نفرق.

شيخ الإسلام لما سئل عن العلماء الذين يعظمهم أو الذين يتبعهم ذكر الأئمة الأربعة وذكر الذهبي وابن كثير وهما شافعيان، نحن ليس عندنا تعصب للحنبلية، أو تعصب إلىٰ مذهب.

الدعوة السلفية هي فهم الكتاب والسنة الدعوة للرجوع لما كان عليه الصحابة وما كان التابعون لهم بإحسان، نحن نترضىٰ علىٰ جميع الأئمة ونتبعهم فيما هم فيه من العلماء والهدىٰ، وما اختلفوا فيه نرجعه

إلىٰ كتاب الله وسنة الرسول -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإذا استبان الحق أخذناه، وإذا كانت للمسالة مشتبهة فإن الاختلاف وارد بين أهل العلم.

سؤال (٤): نسمع كثيرا علىٰ تجديد الخطاب الديني، فماذا يعنىٰ بذلك؟

**الجواب**: هٰذا يحتاج إلىٰ محاضرة مستقلة، بمعنىٰ تجديد الخطاب الديني، هٰذه الكلمة عصرية؛ لٰكِن معناها إذا فُهم علىٰ المعنىٰ الصحيح فإنه لا مشاحة في الإصطلاح كما يقال.

الخطاب الديني يُعنىٰ به أسلوب إيصال العلم والدَّعوة للناس.

الخطاب الديني كيف توصل الدين للناس؛ بأي نوع من الخطاب، أي نوع من الدعوة، أي نوع من الأسلوب.

معلوم أن الخطاب الديني أو أسلوب الدعوة هٰذا يختلف باختلاف الزمان والمكان والعوائد والأحوال.

وقد يأتي في وقت وتظهر مشكلة في الدعوة نحتاج معها إلىٰ تغيير في أسلوبنا، فنوعية الدعوة أو الدعوة في نفسها هي مشتملة علىٰ شيئين:

- مشتملة كما يقال علىٰ علم وعقيدة ومضمون.
- ومشتملة علىٰ أسلوب يدعو الناس إلىٰ هٰذا العلم والعقيدة والمضمون.

أما العلم والعقيدة والمضمون فهٰذا ليس لأحد أن يغيِّر فيه، ولا أن يبدِّل، إنما يرشد الناس إلىٰ فهمٍ لذلك .

الدين لا تغيير فيه، هٰذا لا تغيير فيه؛ لٰكِن أسوب تبليغ هٰذا الدين من حيث الأولويات وأنواع الفقه التي تُرعىٰ، وأسلوب مخاطبة الناس مراعاة اختلاف أفهامهم، بماذا يقدم، الشبه التي تجلىٰ، ما الذي يشرح لهم، ما الذي يبين، هٰذا لا شك أنه يختلف باختلاف الزمان والمكان والعوائد والأحوال كما هو معلوم.

الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه دعوتهم واحدة، هي الدعوة إلىٰ توحيد الله جل وعلا وطاعة الرسل وملازمة التقوىٰ والاستغفار؛ لٰكِن هل أسلوب الأنبياء واحد، لا، في القرآن أن أسلوبهم مختلف، وذلك لاختلاف المتلقين.

فإذن معنىٰ تجديد الخطاب الديني هو تجديد أمر الدين بتجديد أسلوبه فيما يُعرض من الدين للناس في العلم والعقيدة والأخلاق، والبيان في الدعوة والمحاضرات والتأليف.

من أمثلة ذلك الآن نأتي في مثل هٰذا الوقت؛ الآن وقت فيه ظهور لظواهر التكفير عند الناس أو عند فئات من الشباب هناك فهم خاطئ للجهاد، هناك عدم الرجوع لأهل العلم في فهم مسائل العقيدة والعبادة.

هناك عدم اعتبار لاختلاف الناس في مداركهم ونوعياتهم في القنوات الفضائية، وفي التأليف وفي المجلات والصحف.

هل يمكن أن نخاطب الناس مخاطبة واحدة، أنا آتي ألقي درس في العلم لأناس يفهمون العلم ويفهمون كلام العلماء ويفهمون مسائل العقيدة، وألقي كلاما مثل الكلام المتخصص عند كل الناس في القناة الفضائية أو في الصحف، أو في مجمع في مدرسة، ونحو ذلك؟! ليس كذلك.

فإذن الخطاب الذي أوجهه في مسائل الدين يجب أن أراعي فيه حالة المستمعين، هٰذا من حيث حالة الناس، فالخطاب للصغار غير للكبار، الخطاب لطلبة العلم غير للشباب العامي، هٰذا من جهة.

الجهة الثانية تنوع الخطاب الديني ما بين العلم والدعوة والخطبة.

خطبة الجمعة اليوم يأتي أناس ويقولون في خطب الجمع ما لا يصلح لعامة الناس إنما يناقشه الخاصة في علمهم أو في حلقاتهم أو فيما يدارسونه من أوضاع علمية وأوضاع الأمة.

أما أن يخاطب الناس خطابا دينيا دعويا في خطبة الجمعة، دون نظر إلىٰ اختلاف الناس في مفاهيمهم، واستعداداتهم، وفهم الكلام هٰذا غلط.

إذن من معالم تجديد الخطاب الديني أن يكون هناك رعاية للفروقات بين الناس في الأماكن التي فيها الجميع.

محاضرة يأتي فيها الجميع، هل هنا أحمّس الناس في خطبة الجمعة أو في محاضرة في حماس وألهب المشاعر، وأنا أعرف أن كثيرا من هؤلاء شباب، قد يأتون بإلهاب المشاعر ويذهبون ويسنفذونها في مسائل دون الرجوع إلىٰ من ألقىٰ الكلمة، ويسألونه هل فهمهم لما فهموه صواب و غير صواب.

بعض الناس يأتي يدعو الناس للجهاد، ويحمس الناس الجهاد الجهاد الجهاد، ويأتي الناس ينصرفون من المسجد.

الجهاد حق ودين لٰكِن كيف فهم هؤلاء هٰذه المسألة الشرعية؟ النبي ﷺ يقول: «ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»، فمن أتىٰ ويعلم أن حديثه سيُفهم علىٰ غير فهمه، أو من الناس سيأخذه علىٰ غير فهمه ويذهب هو شارك في الفتنة.

فاختلاف الناس في أفهامهم وعقولهم ومداركهم لابد أن يُرعىٰ، فإذن تجديد الخطاب الديني فيه رعاية للناس، رعاية لعلم ليس كل علم يقال لكل أحد.

كذلك لابد من فهم لفقه الأولويات مراعاة الأهم فالمهم، لابد من فقه السياسة الشرعية.

لابد من رعاية في الحديث في الخطاب الديني اليوم فيما يسمىٰ بالخطاب الديني أو الدعوة أو الخطبة في فهم فقه القوة والضعف في الأمة.

كيف الأحكام التي تقوم في قوة الأمة ونبينها وفي ضعف الأمة ونبينها، مسائل الجهاد، مسائل الولاء والبراء اليوم تطلق دون تفصيل فيضل بها الناس.

لابد إذن البيان والتفصيل، في كثير من المسائل إذا كان الوقت لا يسمح لك أن تبين وتفصل، أو الناس لا يستوعبون ذلك فاترك الأمر من أصله، وابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في النونية :

فعليك بالتبيين والتفصيل فالـ ... إطلاق والإجمال دون بيان

قد أفسدا هٰذا الوجود..... .....

إذا أتىٰ واحد وأطلق شيئا شرعيا لٰكِن دون تفصيل وبيان يفسد، أجمَلَ إجمالات عامة، جهاد، شيء عام دون بيان لتفصيله ولاء وبراء دون بيان وتفصيل، فهٰذا يفسد كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

فإذن هناك مسائل تحتاج إلىٰ تبيين وتفصيل.

فإذن معنىٰ تجديد الخطاب الديني أن لا نوقع الناس في فتنة بما نريده من الخير في الكلمات والدعوة والخطب ونحو ذلك؛ بل لابد أن نضع النقاط علىٰ الحروف، وأن نرعىٰ حال الناس واختلاف الناس والزمان والأحوال.

نكتفي بهذا القدر، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

## تعليق سماحة الشيخ
## عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ حفظه الله

[الحمد لله، والصلاة والسلام] علىٰ سيد الأولين الآخرين، وإمام المتقين، محمد بن عبد الله، وصلواته وسلامه عليه أبدا دائما إلىٰ يوم الدين، وعلىٰ آله وصحابته أجمعين، وعلىٰ التابعين لهم بإحيان إلىٰ يوم الدين.

وبعد..

في هٰذه المحاضرة القيمة استمعنا إلىٰ عرض منهج الدعوة الإسلامية والأسس التي قامت عليها، والدعائم التي قامت عليها، فالمتحدثون عن هٰذه الدعوة...

ولٰكِن هٰذه المحاضرة بالأخص فيها تختص وامتازت بأمور عظيمة جدا، حيث أن العرض كان عن أسس هٰذه الدعوة ومنهجها وطريقتها، بأن فهم منهجها وفهم طريقتها هو الذي يجعل المسلم يعرف الحق ويستبينه.

فإنك كثيرا من الأعداء المناوئين ما بين إنسان جاهل، يعني المناوئون لها ما بين إنسان معاند مكابر، وما بين إنسان نقلت إليه الصورة مشوهة لم يدركها علىٰ الحقيقة ولم يفهمها الفهم الصحيح فأساء الظن وقال، وقد يعذر لجهله، وأن الأمر لم ينقل إليه النقل الصحيح الواضح الذي يجعله يستبين الأمر ويدركه ويعلمه، ولهٰذا قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾[الحجرات]، إذ الواجب التبين؛ ولٰكِن من الناس يتكلم عن جهل وعن صورة غير حقيقية نقلت إليه، وقد يعذر من جانب الجهل، وقد لا يعذر بأن الواجب عليه أن يستبين ويستوضح؛ لأن الكثير منهم قد يكونوا علىٰ دين وصلاح، ويطعن في هٰذه الدعوة؛ لأنه لم يفهمها الفهم الصحيح.

فالتحدث عن أسسها ودعائمها ومنهجها، وتوضيح ذلك هذه النقطة المهمة التي ينبغي التركيز عليها والتي يندر من يتكلم عنها بالتفصيل.

ثم ثانيا شبه من ناوأ وعادىٰ وبيان أصول شبههم والإجابة عليها.

ففي الحقيقة هٰذه المحاضرة في هٰذا الوقت هي من أهم الأمور، ويا ليت هٰذا فُعل في الجامعات والأماكن التي يحصل فيها جمع كثير فيها للإيضاح للناس هٰذا الأمر؛ لأن في هٰذا العصر لُبِّس علىٰ الناس فكم قنوات تحدث من خلالها أناس قالوا عن جهل وسوء فهم وقلة علم ونسبوا للدعوة ما هي البراء منه، حتىٰ قالوا: إنهم كذا وإنهم كذا، فهٰذا الذي قلة العلم وقلة الفهم بأسس هٰذه الدعوة أوجبت لكثير ممن لا بصيرة عنده أن يتكلم بالباطل ويفتري الأكاذيب. ولو عاد ورجع ودرس الأسس الصحيحة لعلم خطأه وقلة تصوره وقلة فهمه وإدراكه.

فهؤلاء الجهلة أُتوا من حيث أنهم لم يدرسوا أسس الدعوة، ولم يفهموها، وإنما تلقوا ما تلقوا من كتب خصوم وأعداء ومناوئين شرِقُوا بها إما حسدا وإما والعياذ بالله ما في قلوبهم من مرض النفاق والبلاء.

فالمسلم إذا أراد الحق فلا يأخذ كل الأقوال مجازفة؛ بل يتظر ويتأمل وينطلق من منطلق علمي،

وبعضهم أحب الدعوة؛ ولكنه أساء إليها كما قال الشيخ: حمل كثيرا من فتاواها وكثير من ألفاظها علىٰ غير مراد أئمة الدعوة بها.

فمن سوء فهم بالعِداء ومن سوء بالجناية عليها من سوء التطبيق وقلة الفهم.

فهٰذه المحاضرة في بهذه الصورة التي استمعنا إليها وأصغينا إليها جميعا هي في الحقيقة منهج قيم وطريق واضح.

نسأل الله للشيخ التوفيق، وأن يعيد هٰذه المحاضرات في المجامع الكبار، لأن هٰذه المحاضرة إذا نشرت في الوسائل الإعلامية المختلفة وسمعها من لم يكن مدركا بالأمر، فلعله أن يعود إلىٰ رشده، ولعله أن يتبصر أنه مخطئ، وأنه قال بلا علم نسأل الله للجميع التوفيق وصلىٰ الله علىٰ محمد.